العرب
الجمعة 2021/11/26
السنة 44 العدد 12252

رمضان البكشيشي فنان البورتريهات المحفورة في الذاكرة

فنان ليبي يرسم المهمل في سير الناس وقصصهم الضاحكة والباكية

الفنان رمضان البكشيشي حالة استثنائية وطارئة على التشكيل الليبي، وهو الذي تجاوز الثمانين من عمره ولا يزال في مناطق الفن شابا عالي الهمّة، نفس طويل في الإنتاج الغزير ودون توقّف يصحبه سرد عميق لسير الناس وقصصهم الصغيرة عبر بورتريهات محفورة في الذاكرة، وتفاصيل من زوايا مركونة مهملة لم ينتبه إليها إلا الفنان نفسه في حياة الليبيين عامة ومدينة بنغازي خاصة.

عدنان بشير معيتيق
فنان تشكيلي ليبي

تتّسم أعمال التشكيلي الليبي رمضان البكشيشي بقوة تعبيرية لا يطمح فيها الفنان المخضرم إلى تمثيل الأشياء بقدر محاولته نقل المتلقي إلى أجوائها وخلق مناخ يكون ترجمة أمينة للمشاعر والأحاسيس التي تعتمل في دواخل أبطالها المرسومين، فهي تقترب من عوالم الألماني التعبيري إميل نولد ذات الجسارة التعبيرية في تناول مواضيعه وألوانه وطريقة معالجاته المختلفة عن السائد في وقته، فكان الفنان البكشيشي يسلك هذا الطريق الوعر التي نجح في عبوره إلى أبعد حد بشكل تلقائي عفوي مدرك لما يفعل في آن واحد.

يبتعد البكشيشي كثيرا عن التوجيهات الأكاديمية ويقترب من الطرح بشكل أكثر بساطة في تناول مواضيعه الاجتماعية والتي مرّ بها المجتمع الليبي من فقد وخوف وحرب، كان الضحية فيها الإنسان العادي البسيط، فكان تركيزه على الأسر المحتاجة كلوحته "في انتظار عيادة الطبيب"، حيث الطفل المريض في حضن أمه التي يعتريها لمحة من خجل وقلق وألم واستسلام الأب لوضعه المحتوم في مناطق العوز كغيره من الليبيين وانسجام باقي الأطفال في اللعب ببالونات ملونة كاستشراف لمستقبل أجمل.

بورتريهات الفنان الذاتية تشي ببعض الفرح والكثير من الحزن بفعل التغيرات الكبرى الحاصلة في المزاج العربي

سيرة الحياة

سيرة الأطراف ألمٌ يعتري أغلب الوجوه المرسومة في أعمال البكشيشي، قافلة في الصحراء مرسومة بخفّة لا يمكن وصفها بكلمات، حديث المقهى رجل ينصت وآخر يتأمل وثالث يتحدّث بصوت عال ورابع يحاول قراءة العيون لعله يقتنص ما يصبو إليه ومعرفة أوراق خصمه.

بورتريه الملك إدريس السنوسي، عمر المختار والمدرسة الفاضلة حميدة العنيزي والتي كانت مديرة مدرسة سنة 1950 وقصص أخرى للجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي، بورتريهات مشاهير الخمسينات والستينات من الزمن الجميل، بورتريهات الرائدات من الليبيات الفضليات وشعراء ورسامين والكثير من المثقفين، بعض الفرح والكثير من الخراب والحزن بفعل التغيرات الكبرى في مزاج التاريخ على البلدان العربية.

يتّجه الرسام دائما إلى السهل في أسلوبه وتناوله مواضيع اجتماعية غاية في الحساسية وذات مضامين وأبعاد إنسانية رفيعة، وهو الذي يتنقل بين عوالم طازجة مدعومة بذائقة بصرية رفيعة وخبرة كبيرة في التلوين والتدوين لالتقاطات يغفل عنها الكثير من الفنانين الذين يتجه أغلبهم إلى محاكاة الواقع المعيش والمبالغة في البقاء على السطح دون أي محاولة للغوص في أعماق التجربة الفنية التي بدورها تقودهم إلى المتن ولا تبقيهم على الهامش أبدا.

كل مناطق الفنان تتجاور مع التعبيريين الألمان أمثال: إيميل نولد وأرنست لودفيغ كيرشنر وأوغستين ماكه وفرانتس مارك خصوصا عندما يتكلم بالرسم عن معاناة الآخرين وآمالهم، ولكن عندما يرسم نفسه أيضا.

في بورتريهاته الشخصية يقترب أكثر من النهج الذاتي المرتبط بأسلوبه الذي عرف به عبر سنوات طويلة مضت، فيكون رسمه تعبيريا مصاحبا لحالات عاطفية وذهنية مشحونة بمثابة صورة داخلية لوضعه النفسي في تلك الأوقات التي تمّت فيها عملية الرسم، وغالبا ما يتم تأثيثها برسم المناخ المحيط، رسم المرسم وأدوات الرسم والأعمال الفنية المعلقة على جدرانه لتحديد بورتريه المكان قبل البورتريه الشخصي عنده.

ومع وصول البكشيشي من العمر المديد، ونتمنّى أن يطيل الله في عمره، أصبح يعاني من آلام المفاصل وعدم قدرته على مسك فرشاة الرسم بشكل صحيح أو كما ينبغي، فقرّر أن يستعمل أصابعه ويده في التلوين والرسم بشكل مباشر والاستغناء عن الأدوات مثل الفرشاة والسكين لتنفيذ أعماله الفنية.

وبخبرته وكفاءته في الرسم استطاع أن ينجز أعمالا غاية في الجمال بل أصبحت تتّخذ مكانا كمرحلة جديدة من إنتاجه الفني، وتميّزت على مراحله السابقة بأثر مختلف على سطح اللوحة عنده من فعل استعمال اليدين بدلا من الفرشاة.

فطرية التعبير

مهارة الفنان في المزج والتظليل واختيار الألوان بتجاورها وعبث الأطفال والفطرية في التعبير عن الموضوع المراد رسمه واختفاء الخط بشكل شبه كامل، استعاض عنها بالتظليل لصناعة خطوطه، وأصبحت تكويناته أكثر تلقائية، مع محافظة ألوانه على مزاجها الهادئ في مخاطبة المتلقي.

والفنان في كل ذلك لا يلجأ إلى الإبهار المتعمّد بالألوان الصريحة، ما لم تخدم موضوعه، فأغلب إنتاجه يركن إلى سرد قصص المحتاجين والفقراء وأصحاب الحقوق الضائعة مصاحبة لعوالم الحزن والشكوى، وهذا ما يتسرّب إليك من ألوانه وعند مشاهدة لوحاته، فتعتريك مسحة من حزن عميق تثري القيمة الفنية لأعماله الفنية.

في الأسابيع القليلة الماضية أقيم للفنان معرض شخصي في نادي عوض الفنية سنة 1970، وتمّ تعيينه رئيس مكتب النشاط الفني فيه، ومن بعدها موجّه تربية فنية إلى حين تقاعده في منتصف الثمانينات من القرن الماضي.

لعب لا يخلو من جدّ ووشاية

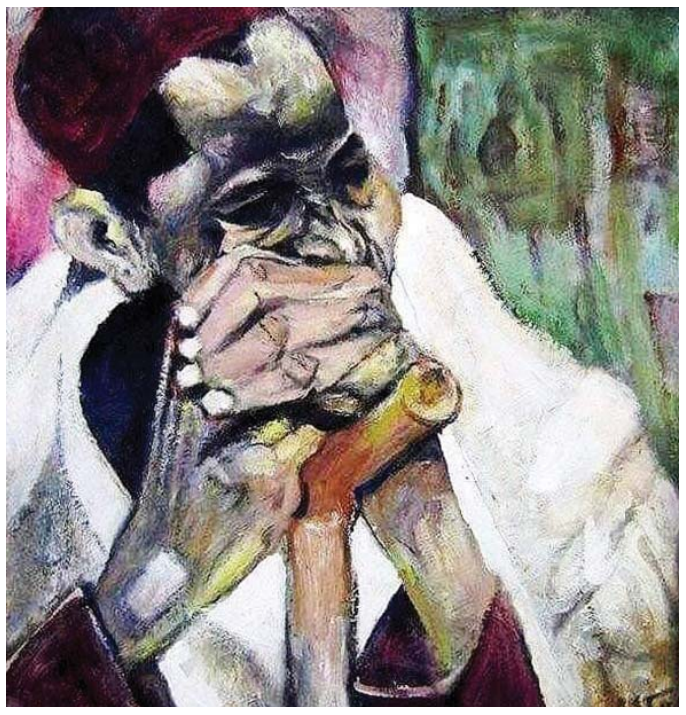

لوحة تعبيرية مفعمة بالحنين

كان البكشيشي من جماعة الثلاثة رفقة الفنان محمد نجيب والفنان فتحي العريبي الذين أقاموا العديد من المعارض الفنية المشتركة مع حلول شهر رمضان لسنوات طوال، درس الرسم منذ العام 1957 وبعدها تخرّج من معهد المعلمين شعبة التربية عبيدة للفنون التشكيلية ببنغازي حمل عنوان "بورتريه" مثّل جزءا من إنتاجه الفني في سنوات مضت، قدّم من خلاله أربعين عملا فنيا، شمل بورتريهات لشخصيات ليبية وعربية سياسية وثقافية وبعض المواضيع الاجتماعية والوطنية، حيث احتفل كل المهتمين بالشأن الثقافي والفني بمدينة بنغازي بهذا الحدث الهام في حياة الفنان بشكل خاص وفي الحركة التشكيلية الليبية بشكل عام وتمّ تكريمه من قبل قنصل دولة فلسطين الذي زار المعرض.

وولد الفنان رمضان البكشيشي في مدينة بنغازي عام 1938، تعلّم على أيدي أساتذة مصريين في بواكير حياته الأولى وأهمهم المدرس والفنان المصري يحيى بوحمزة رفقة الكثير من المواهب الذي أسّس معهم جمعية أو تجمع للفنون التشكيلية بالمدرسة، كان هذا التجمع يهتمّ بإقامة المعارض الجماعية وتنفيذ العديد من ديكورات المسارح والمشاريع الفنية الأخرى بالمدينة في تلك الأيام.

شارك في العديد من المعارض الجماعية في بنغازي وطرابلس ومصراتة وكذلك مشاركة في مهرجان المحرس بتونس سنة 2005 ومعرضه الشخصي الأخير في بنغازي 2021.

سوريا تكرّم النحات الراحل مصطفى جميل شخيص بمعرض استعادي

اللاذقية (سوريا) - ثلاثون عملا فنيا حاكت جانبا من تجربة النحات السوري الراحل حديثا مصطفى جميل شخيص (1965–2021)، ضمّها المعرض الاستعادي التكريمي المقام حاليا في صالة "الباسل للفنون" في مدينته اللاذقية، وهو معرض يسرد تجربة امتدت زهاء الثلاثة عقود قضاها الراحل متنقلا بين كتابة الشعر والرسم وخاصة النحت الذي برع فيه.

والمعرض الذي يقيمه فرع اتحاد الفنانين التشكيليين السوريين في اللاذقية بالتعاون مع ذوي الراحل يضمّ مجموعة من المنحوتات الخشبية والحجرية تعود إلى فترات مختلفة من رحلة شخيص الفنية، وتتميّز بتنوّع المدارس والأساليب المستخدمة مع إبراز خصوصية التجربة وتميّزها خاصة في مجال النحت على الخشب والتي عمل الراحل على تنويعها، فكان هناك التكوين والروليف إضافة إلى منحوتات شكّل الخط العربي أساسا لها بما يبرز التقنية العالية والحرفية التي تمتع بها الراحل.

وبيّنت ابنة الراحل رونزا شخيص أن المعرض يقدّم مقاربة لتجربة والدها خلال سنوات عطائه الطويلة منذ بداياته حتى رحيله، وكيفية تطوّرها استنادا على عدة عوامل منها الخبرة والثقافة الفنية وحضور الإنسان البارز بكثرة في أعماله، لافتة إلى تنقل تجربته في النحت في مختلف المدارس الفنية وإلى محبته وشغفه الكبير بعمله، والذي كان يدفعه للعمل ساعات طويلة تصل أحيانا إلى تسعة عشر ساعة متواصلة لإنجاز منحوتاته.

وبدوره نوّه فريد رسلان رئيس فرع اتحاد الفنانين التشكيليين في اللاذقية بالفنان شخيص الذي تمتع برقي عالٍ وأثرى الحركة التشكيلية بمنحوتاته، وشكّل حالة مهمة وتجربة متميّزة على الساحة الفنية في محافظة اللاذقية في مجال النحت خصوصا.

تناغم فن النحت على الخشب مع الحرف العربي والخيال المسرحي

ورأى النحات محمد بعجانو أن المعرض يأتي كتحية وفاء ومحبة لروح شخيص الذي شكّل رحيله المفاجئ في العاشر من أكتوبر الماضي عن سن ناهزت الخمسة وستين عاما خسارة للساحة التشكيلية في اللاذقية، وخاصة لفن النحت مع قلة الفنانين الذين يعملون في هذا المجال لصعوبة أدواته والعمل به، مشيرا إلى أن الراحل امتلك تقنية عالية وقدّم الكثير من الأعمال النحتية على الخشب سواء التكوينية أو الجدارية.

وقال صديق الراحل لسنوات طويلة محمد أسعد سموقان "شخيص الإنسان كان نشيطا ومحبا للفن والفنانين، وهو الذي كان حاضرا دائما وأبدا إلى جانب الفنانين في كل المعارض وخاصة معارض اتحاد الفنانين التشكيليين في اللاذقية"، منوّها بتجربة الفنان الأصيلة والتي تميّز من خلالها بغزارة الإنتاج وبالتفاصيل الكثيرة التي قدّمها في العمل الواحد ما يجعل بالإمكان تجزئته إلى مجموعة من الأعمال، إضافة إلى تقنيته العالية في أعماله الحروفية وفي فن الروليف والأعمال التكوينية.

وتنوّعت أعمال شخيص من حيث الأسلوب لتشمل مدارس نحتية مختلفة من الكلاسيكية والسريالية والتكعيبية والتجريدية ليجمع في بعضها بينها جميعا في عمل واحد، إضافة إلى اهتمامه بالخط العربي ومزج الحرف والتشكيل وبين الكلاسيكية والتكوين.

ومع تقدّم السنوات وتراكم الخبرة قدّم الراحل مجموعة من الأعمال النحتية على الحجر الرملي والكلسي والحجر الصلب، لكن شغفه الأساسي بقي متعلقا بمادة الخشب.

واعتمد أسلوب شخيص بوجه عام على التفرّد والتميّز سواء بالفكرة أم بطريقة التصميم ليصنع بصمة وهوية خاصة من خلال عمله على البعد الثالث بالأعمال النحتية التي تحتاج إلى الكثير من سعة الخيال والأفق بالتصميم والحرفية والدقة في التنفيذ، إضافة إلى الفكرة الهادفة والتوفيق في جمع هذه المكونات لإنتاج عمل فني ناجح ومبتكر مرسوم بخياله شكلا ومضمونا وإخراجا، كاشتغاله على جسد المرأة وتجلّياته الرمزية الأنثوية التي تحيل على الأم والحبيبة والخصب والعطاء والوطن الأول.

> أعمال الراحل مصطفى جميل شخيص النحتية مثلت امتدادا للفينيقيين الأوائل في علاقتهم بالبحر والحب والحياة

واستلهم الراحل المولود في العام 1965 بمدينة اللاذقية الساحلية طوال مسيرته النحتية من بيئته البحرية وما تحتويه من رموز حضارية متوارثة مفرداته الفنية، معتبرا نفسه امتدادا للفينيقيين الأوائل، متابعا رسالة أجداده في علاقتهم بالبحر والحب والحياة.

وهو الذي كان يرى أن البحر عنصر أساسيّ في الطبيعة وموجود منذ الأزل ولا حياة على الأرض من دونه، فرصده وجسّده جماليّا في أعماله النحتية كرمز له دلالاته. كما بدت مكانة البحر في أعماله أيضا من كونه يمسّ حياة الصيادين الشاقة وصراعهم من أجل الوجود، فوثّق نحتيا تناقض حالاته في المد والجزر والسكينة والعاصفة والعطاء والمنع.

وعمل الراحل أيضا في بعض منحوتاته على دمج فن النحت بالخط العربي، وذلك من خلال إظهار تقنيات الأخير في منحوتاته، وهو الذي وجد في الإيحاء الرمزي للخط العربي بساطة شكلية تقيه من السقوط في فخاخ المغالاة والمباشرة عند إظهار عناصر الأمومة والحب والخصب والعطاء وتكثيف الدلالة وتعظيم الفكرة، كما في حالات الشهادة وحب الوطن وغيرها، حيث أخذ العمل النحتي لديه كفايته من شحنة الإيحاء التي كان يحتاجها لإنجاز مجسّماته.

ولم يتوان الراحل في تجاربه النحتية الأخيرة عن استخدام التقنيات التكنولوجية المتوفّرة في الكمبيوتر، والتي أتاحت له استثمار مقدرته على زيادة الإبداع عبر الدخول إلى برامج فنية نحتية تُعنى بالاستخدام الأمثل لتشريح الجسد وإمكانية إدخال الخط العربي والأجنبي وإظهار الحالات والانفعالات الإنسانية المصوّرة عبر ما يُسمّى البعد الثالث "ثري دي"، بالإضافة إلى ظهور ما يسمّى بتقنية "سي أن سي" الآلية التي تنوب عن النحات إنجاز العشرات من النسخ عن العمل بوقت واحد وتعطي دقّة عالية وبزمن وجهد أقل.